كلام بايدن.. والإدارة الغائبة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يبدو كلام الرئيس جو بايدن في الأمم المتحدة كلاما جميلا صادرا عن رئيس أميركي يرى التحديات التي يواجهها العالم، لكنّه يعتقد أن في الإمكان مواجهتها بالدبلوماسية وحدها. لا يدرك أن ذلك ليس ممكنا، خصوصا بعدما كشفت طريقة الانسحاب العسكري من أفغانستان مدى تخبّط الولايات المتحدة وضعفها. لم يعط التحالف العسكري الجديد مع أستراليا وبريطانيا الذي كلف فرنسا خسارة عقد لبناء غواصات قيمته 56 مليار يورو فكرة أفضل عن الدبلوماسية الأميركيّة. أدى الأمر إلى "فقدان الثقة" بين فرنسا وأميركا وإلى سقوط فكرة أنّ الإدارة الأميركية الحاليّة تسعى إلى جبهة موحّدة مع أوروبا.

نحن في عالم لا يصلح فيه مثل هذا الكلام الصادر عن رئيس الولايات المتحدة. أتاه الجواب من إيران

باتت فرنسا في وضع لا تحسد عليه بعدما صار عليها البحث عن موقع جديد في هذا العالم بعيدا كلّ البعد عن توجّهات الإدارة في واشنطن.

كان يمكن للكلام عن دخول العالم "مرحلة الدبلوماسيّة" أن يثير الإعجاب لو كان وضع هذا العالم مختلفا ولو لم تكن أميركا تتفرّج على المآسي التي يشهدها الشرق الأوسط، بدءا باليمن، وصولا إلى لبنان، مرورا بالطبع بالعراق وسوريا. كيف يمكن تفسير غياب الموقف الأميركي من قتل نصف مليون سوري وتشريد عشرة ملايين داخل سوريا وخارجها؟

تحدث بايدن في كلمته عن أنّ الجمعية العمومية للأمم المتحدة تنعقد هذه السنة "في لحظة ممزوجة بألم شديد" بسبب "الوباء المدمر الذي لا يزال يحصد الأرواح في جميع أنحاء العالم"، حيث توفي "أكثر من 4.5 مليون شخص" بفايروس كورونا. تطرق إلى أزمة المناخ وإلى كل ما يعاني منه العالم قبل أن يسأل "هل سنطبق المبادئ الأساسية للنظام الدولي ونعزّزها، بما في ذلك ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بينما نسعى إلى ظهور تقنيات جديدة وردع للتهديدات الجديدة"؟ رأى أن العالم يقف "عند نقطة انعطاف في التاريخ". أشار إلى إنهاء التدخل العسكري الأميركي في أفغانستان في نهاية الشهر الماضي، مؤكّدا أن أميركا تريد التركيز على الدبلوماسية المتعددة الأطراف والمكثفة للتعامل مع الأزمات التي تواجه العالم.

وقال "كي نخدم شعبنا، يجب علينا أيضاً الانخراط بعمق مع بقية العالم (...) نحن نفتتح حقبة جديدة من الدبلوماسية التي لا هوادة فيها، لاستخدام قوة مساعدتنا التنموية للاستثمار في طرق جديدة لرفع (مستوى معيشة) الناس في كلّ أنحاء العالم". شدّد على أن الولايات المتحدة "لا تسعى إلى حرب باردة جديدة" في إشارة واضحة إلى الصين، لكنّه اعترف بتزايد المخاوف بسبب التوترات المتزايدة بين البلدين، قائلاً "نحن لا نسعى إلى حرب باردة جديدة أو عالم منقسم إلى كتل جامدة"، مؤكداً أن الولايات المتحدة "مستعدة للعمل مع أي دولة تتقدم وتسعى إلى حل سلمي لمشاركة التحديات، حتى لو كانت لدينا خلافات شديدة في مجالات أخرى، لأننا سنعاني جميعاً من عواقب فشلنا".

لعلّ الموقف الأشدّ غرابة لبايدن، كان الموقف من إيران. قال إن الولايات المتحدة ستستمر في جهودها للحؤول دون حصول إيران على أسلحة نووية "تظل الولايات المتحدة ملتزمة بمنع إيران من الحصول على سلاح نووي"، موضحاً "أننا نعمل مع مجموعة الخمسة زائدا واحدا للتعامل مع إيران دبلوماسياً والسعي إلى العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة". أكد أنه "على استعداد للعودة إلى الامتثال الكامل" بالاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني الموقع في العام 2015، "إذا فعلت إيران ذلك". لم يحدّد هل مشكلة إيران في السلاح النووي الذي تسعى للحصول عليه فقط.. أم المشكلة تتجاوز ذلك وهي مشكلة السلوك الإيراني في المنطقة، إضافة إلى الصواريخ الباليستيّة والطائرات المسيّرة؟

في ما يخصّ الوضع في الشرق الأوسط، أكد الرئيس الأميركي أن دولة فلسطينية ديمقراطية وذات سيادة هي "الحل الأفضل" لضمان مستقبل إسرائيل. وأضاف "علينا أن نسعى إلى مستقبل يسود فيه المزيد من السلام والأمن لجميع شعوب الشرق الأوسط"، موضحاً أن "التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل لا جدال فيه ودعمنا لدولة يهودية مستقلة لا لبس فيه.. لكن ما زلت أعتقد أن حل الدولتين هو أفضل طريق لضمان مستقبل إسرائيل كدولة ديمقراطية يهودية تعيش في سلام إلى جانب دول فلسطينية ديمقراطية وذات سيادة وقابلة للحياة (...) ما زلنا بعيدين جداً عن ذلك الهدف في الوقت الحالي لكن يجب ألا نسمح لأنفسنا بالتخلي عن إمكان إحراز تقدم". نعم، سيبقى هذا الهدف بعيدا ما دامت الإدارة الأميركية تكتفي بلعب دور المراقب في ما يتعلّق بالشرق الأوسط. لعبت الإدارة الحاليّة دورا مشكورا في التخلّص من بنيامين نتنياهو ولكن ماذا بعد ذلك؟ لم تفعل شيئا يذكر منذ لم يعد "بيبي" رئيسا للوزراء..

نحن في عالم لا يصلح فيه مثل هذا الكلام الصادر عن جو بايدن الذي أتاه الجواب من إيران. فقد أعلن المسؤولون فيها أن على أميركا رفع العقوبات على "الجمهوريّة الإسلامية" قبل أن تقرر العودة إلى التزام بالاتفاق النووي. في النهاية تبقى التمنيات مجرّد تمنيات ويبقى الحديث عن الدبلوماسية مجرّد حديث عن عالم مثالي ليس موجودا. لعلّ المثال على ذلك تفتيت دولة اسمها لبنان في غياب أيّ دور أميركي فعّال باستثناء توفير مسكنات.

يطرح خطاب بايدن في الجمعية العموميّة أسئلة بشأن التوجه الأميركي في السنوات الثلاث المتبقيّة من ولايته. إذا كان التحدي الأوّل، من وجهة نظر المقيم في البيت الأبيض، هو الصين، فإنّ أقل ما يمكن قوله إن الصين ستكون مرحّبة بإدارة من هذا النوع. إنّها إدارة غائبة فعليا عن مشاكل العالم وأزماته، إدارة تشكّل مزيجا من إدارتي جيمي كارتر وباراك أوباما. لدى بايدن الكثير من السذاجة التي ميّزت شخصيّة جيمي كارتر وكلّ التهاون الذي أظهره باراك أوباما في تعاطيه مع إيران.

سيظل السؤال الذي سيطرح نفسه في الأشهر القليلة المقبلة كيف سيتصرّف أهل الشرق الأوسط والخليج مع إدارة أميركية لا ترى ما يرتكبه الحوثيون في اليمن ولا ما يحصل في الجنوب السوري ولا ما الحلّ بلبنان. كيف التصرّف مع إدارة غائبة عن المنطقة وعن مناطق أخرى كثيرة في العالم؟

معركة الدبيبة والبرلمان والحاجة إلى إعادة خلط الأوراق

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

من الطبيعي أن تؤدي المقدمات الخاطئة إلى النتائج الخاطئة. وما تعرفه ليبيا منذ العام 2011 لا يمكن أن يثمر غير تلك الصراعات والمواجهات والخلافات والعراقيل وآخرها قرار مجلس النواب حجب الثقة عن حكومة الوحدة الوطنية، رغم أن الواقع يؤكد أن لا المجلس مجلس نواب حقيقيا، ولا الحكومة حكومة وحدة وطنية فعلية، وإنما هما إفرازان من إفرازات واقع سياسي واجتماعي متأزم ومشتت وخاضع لمصالح الأفراد قبل مصالح الشعب المنهك بفعل التجاذبات من خارج إرادته.

أول مشاكل ليبيا أن الفاعلين الحاليين وبدل أن يكونوا مؤتمنين على فترة انتقالية يسلمون بعدها مقاليد السلطة لمن يختارهم الشعب، يسعون بكل قوة إلى أن يكونوا أصحاب القرار اليوم وغدا وفي كل وقت وحين. عقيلة صالح لا يتصوّر نفسه خارج الحكم في المرحلة القادمة رغم هزيمة قائمته المشتركة مع وزير الداخلية السابق فتحي باشاغا في انتخابات ملتقى الحوار السياسي بجنيف في فبراير الماضي، وهو لا ينسى كذلك أن هناك ألاعيب جرت من تحت أقدام البعثة الأممية، وأن أموالا صرفت ببذخ منذ اجتماعات تونس في نوفمبر 2021 للوصول إلى نتيجة دفعت بفريق محمد المنفي وعبدالحميد الدبيبة إلى صدارة المشهد. من جانبه يعمل الدبيبة لسلطته وكأنه سيبقى فيها سنوات طويلة وليس فقط إلى حدود انتخابات الرابع والعشرين من ديسمبر. وهو اليوم يحظى بشعبية جارفة في الأوساط الشعبية التي أقنعها بأنه جاء لينشر الأفراح بزيجات الشباب بدل الأحزان لفقدانهم في الحرب، وليساعد الفقراء والمحتاجين، ويعطي الليبيين حصة من حقهم في ثروتهم الطائلة التي حرموا منها طويلا. وهو لا يهتم كثيرا بأن يقف ضده البعض في برقة وفزان مواقف سلبية لأنه الثقل الديموغرافي الحقيقي موجود في طرابلس، وكذلك التركيز الدولي ينصب على مواقع القرار فيها، ومصرف ليبيا المركزي في العاصمة، والحلفاء الأتراك موجودون هناك وهم قادرون على حمايته من أي محاولة لإعادة خلط الأوراق ميدانيا. كما أن الدبيبة لا يكترث بأن يحجب عنه البرلمان الثقة، فقبله حكم فايز السراج لمدة خمس سنوات وصرف ما لا يقل عن 300 مليار دولار دون أن يحظى بتلك الثقة. الشرعية الحقيقية في ليبيا منذ 2011 هي تلك التي يوفرها المجتمع الدولي لمن يشاء.

وهناك في الرجمة ببنغازي المشير خليفة حفتر القائد العام للجيش الوطني الذي لا يعترف به الدبيبة رغم سيطرته على شرق وجنوب البلاد وبسط نفوذه على أغلب منابع الثروة، والذي خلع بدلته العسكرية مؤقتا ويستعد لخوض غمار المنافسة على السلطة. ولكن الطيف الداعم للحكومة الحالية، بما في ذلك الإخوان وحلفاؤهم وأمراء الحرب والحليف التركي، غير قابلين لفكرة وجود حفتر أو أحد رموز النظام السابق في دائرة التنافس على الرئاسة، وما يقوم به مجلس الدولة من مساع محمومة للعرقلة ليس بعيدا عن الدبيبة ولا عن مراكز النفوذ المالي والسياسي والميليشيات الواقفة إلى جانبه، وربما أمامه لقيادة التوجهات العامة للمرحلة.

قد يتبين خلال الأيام القادمة أن الانتخابات الرئاسية لن تنتظم في موعدها في الرابع والعشرين من ديسمبر، والبعثة الأممية والأميركان والأوروبيون باتوا متأكدين من ذلك، وعقيلة صالح وخليفة حفتر تبلغا بالمعلومة ولاسيما خلال زيارتهما الأخيرة إلى القاهرة، وبالمقابل كان الدبيبة يخطط للبقاء في الحكم بعد انتخابات برلمانية يتقدم إليها

المثل الليبي يقول إن «كلّ واحد شيطانه في جيبه»، ولذلك لا أحد يستطيع الضحك على الآخر، ومن يعتقد أنه الأذكى عادة ما يجد نفسه في موقع التسلل

مترشحون أساسيون من الدائرين في فلكه والمبشرين بزعامته السياسية، كما كان يعمل على وضع مختلف ألوان الطيف السياسي في غرب البلاد تحت إمرته بالاعتماد على الحليف التركي الذي تم الإعداد جيدا لعقد جملة من الصفقات معه خلال الأيام القادمة تصل إلى 50 مليار دولار بعد سلة الاتفاقيات مع القاهرة التي بلغت 30 مليارا، لكن سحب الثقة منه تمنعه على الأقل من توفير غطاء شرعي لذلك وهو الذي أصبح مكلفا فقط بتصريف الأعمال. عمليا هناك اتفاق أممي ودولي على أن مجلس النواب على سيئاته هو المؤسسة التشريعية الشرعية في البلاد.

يمارس الدبيبة لعبة الاستقواء بالثروة والسلاح وبالوعود الانتخابية السابقة لأوانها، لكن المجتمع الدولي لا يريد التفريط في الاتفاق السياسي الذي جعل منه رئيسا لحكومة انتقالية مؤقتة لا غير، ولا في الاتفاق العسكري الذي لم تسع الحكومة إلى تنفيذه وخاصة في ما يتصل بإجلاء المقاتلين الأجانب وحل الميليشيات وتوحيد المؤسسات العسكرية، وهو وإن نجح في تحقيق مساندة شعبية بسبب مشاريعه عاجلة الدفع للشباب وعلى رأسها منحة الزواج، ودفعه مبالغ مهمة لعمداء البلديات، والإفراج عن عدد من رموز النظام السابق، إلا أن ذلك يبقى بلا قيمة حقيقية طالما أن الأزمة السياسية لا تزال قائمة. فالتطلع للزعامة والقيادة يتطلب مناخا توافقيا بين مختلف الأطراف، ومنها الجيش الذي يبسط نفوذه على مصادر الثروة، وقبائل برقة التي تشعر بأن الحكومة الحالية خاضعة لنزعة جهوية.

عندما قرر وزير النفط – وهو من برقة – إقالة رئيس المؤسسة الوطنية للنفط – وهو من طرابلس – واجهه الدبيبة بإلغاء القرار. وعندما تم الحديث عن استبعاد الصديق الكبير من إدارة المصرف المركزي، جعل منه الدبيبة أقرب المقربين منه. وعندما قاد الجيش حربا على جماعات المتمردين التشاديين في جنوب البلاد، لم يحرك الدبيبة ساكنا ولو ببيان يتيم. وعندما حاولت أطراف دولية وإقليمية الجمع بينه وبين حفتر في لقاء تصالحي، رفض الدبيبة ذلك خشية أن يخسر وجاهته بين حلفائه. وعندما تقدم بميزانية الدولة للبرلمان تبين للنواب أنها لم تتضمن بندا لتمويل الجيش. هناك الكثير من المفارقات التي تصب في اتجاه واحد وهو أن رئيس حكومة الوحدة الوطنية رئيس للحكومة ولكن غير مهتم بالوحدة الوطنية التي لا تكون إلا بالتوافق بين جميع الفرقاء. ليس مهما أن تحب الطرف المقابل ولكن عليك أن تتعامل معه كواقع على الأرض لا يجوز تجاهله.

قد يدفع الدبيبة بأنصاره للخروج إلى الشارع في غرب البلاد، وبالمقابل سيخرج مناوئوه للتظاهر ضده في الشرق والجنوب، ولكن ذلك لن يفقد أيا من الطرفين. علينا أن ندرك أن المقدمات كانت خاطئة منذ العام 2011. المجتمع الدولي لم يكن يعرف من ليبيا سوى النفط والقذافي، واليوم يجني ثمن تلك الأخطاء عندما فرض حلولا تلفيقية لم يستفد منها إلا أصحاب المصالح الشخصية. الآلاف من الأثرياء خرجوا إلى العلن بأموال الاعتمادات وبنهب ثروة الشعب، والملايين من الفقراء يواجهون وضعا صعبا وهم يسيرون على أرض تختزن ثروات طائلة، وأنانية فردية تتدثر بشعارات عقائدية وحزبية وجهوية وإقليمية وقبلية لتضع البلاد في منزلقات لا تنتهي. قال بعض زعامات الغرب إن الانقسام أفضل من أن يحكمهم حفتر، ويقول زعماء من الشرق إن الانقسام خير لهم من أن يخضعوا لسلطة مطلعة تدار في طرابلس تسيطر على الثروة وتريد التحكم حتى في هوية من ينوي الترشح للانتخابات.

هناك مخاوف من إعادة خلط الأوراق في ليبيا ولكن الأوراق لم ترتّب فعلا حتى يخشى من إعادة خلطها. المثل الليبي يقول إن "كلّ واحد شيطانه في جيبه"، ولذلك لا أحد يستطيع الضحك على الآخر، ومن يعتقد أنه الأذكى عادة ما يجد نفسه في موقع التسلل. ليبيا الآن في حاجة ماسة إلى إعادة خلط الأوراق سياسيا على أن يتم ترتيبها بجدية وبنوايا حسنة ومن أجل مصلحة البلاد لا من أجل مصلحة الأفراد.

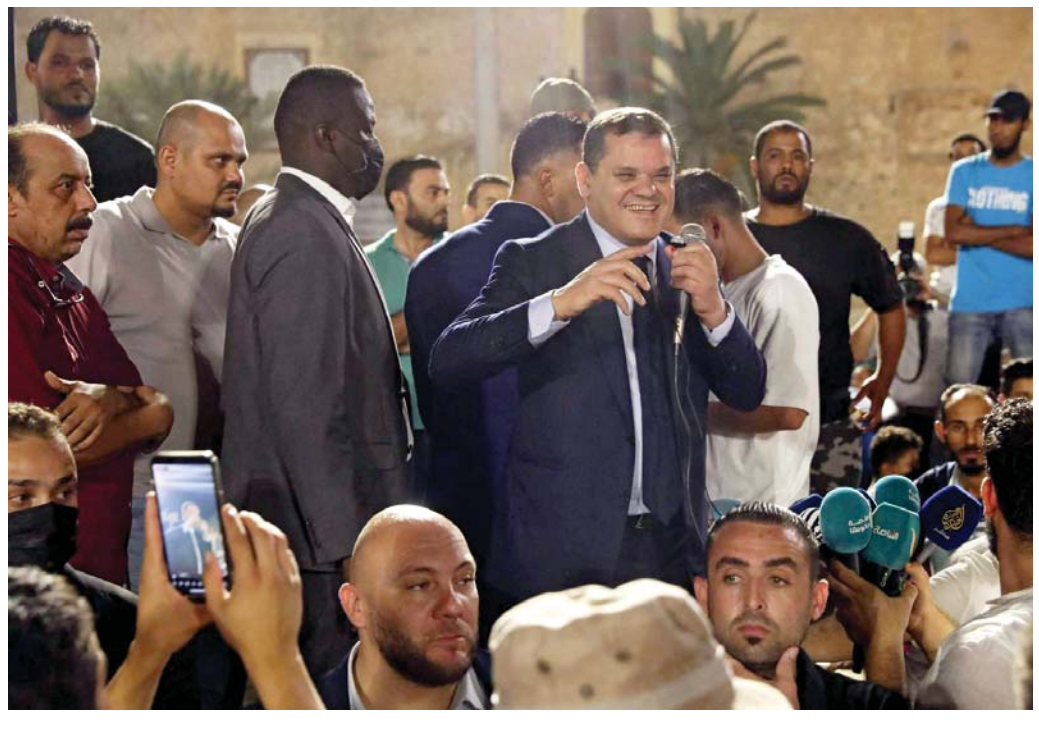

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk